رواية البلد الجميل لأحمد سعداوي

حارات بغداد أيام الحصار

بغداد- شاكر الأنباري

لم يعد ثمة رقابة على الأعمال الأدبية في العراق، والمبدع امتلك مساحة شاسعة لتفجير شخصياته من الداخل، ومقاربة واقعه، وطرح الأسئلة فنيا وفكريا، وذلك الواقع كثيرا ما ظل مقموعا، بصورة ما، لعقود طويلة في الابداع العراقي. بدأت هواجس الناس تتمظهر في النصوص، سواء الشعر او الرواية او القصة، فالتابو السياسي الغي تماما، مع فوضى الوضع الثقافي والسياسي في البلد، ولكن التابو الديني لما يزل يحد من أفق المبدع، خاصة والمجتمع حافظ على تقليديته وانكماشه في مساحات الجنس والدين، وهذا ما يلاحظ في الصحافة اليومية وفي ما ينشر من كتب، على قلته. لهذا ربما يبرز التلعثم لحد الآن في الروايات والقصص التي رأت النور بعد سقوط النظام، واحتلال العراق في اللحظة ذاتها، والشرطي الداخلي الذي ترعرع وكبر طوال عقود ماضيات ظل مستحكما على الخيال. هذا التلعثم يبين جليا في رواية البلد الجميل(الصادرة عن دار الشؤون الثقافية ٢٠٠٤ - بغداد)، وهي الرواية الأولى للكاتب احمد سعداوي. كل شخصيات الرواية تقريبا لا تفصح عن رؤية واضحة لحياتها، تهمهم وتقلق وتتشرد دون الوصول الى مكامن ذلك الضياع. الأفق غير واضح، والهدف مغيب، والهواجس موجودة لكنها غائمة، وفاقدة لحدة السمات.

وسعداوي من جيل ينتمي الى ما بعد الألفين، ولا يمكن قراءة روايته دون تذكر الخلفية التي تدور فيها الأحداث، سنوات الحصار في العقد التسعيني. بطل الرواية عاش حربا ذات يوم، وكان فيها جريحا في أحد المستشفيات، استطاع الهرب الى بلد مجاور، أو الهجرة، ليعيش فترة من حياته كابوسية، ممتلئا بذكريات الأهل والأصدقاء، ورغم ان السعداوي من الكتاب الذين ظلوا في الداخل الا ان هواجس روايته واسئلتها تكاد ان تقترب من أدب المنفيين العراقيين من الكتاب المجايلين له او السابقين. حبيبة البطل حلمي واسمها نود، ظلت تعصف في ذاكرته حتى رجوعه الى الأهل، والقسم الأول كان مدخلا، استحكمته شاعرية السرد والتأمل والحنين الى بغداد وأصدقاء الطفولة وألعابها. فحلمي يعيش حالة من التأمل والشتات الذهني. يستعيد ذكريات بلد فارقه ذات مرة، يصعب الخلاص من رائحته، أهواره وشوارعه وأبنيته العتيقة ووجوه فتياته المشغولات بالبحث عن أزواج. ومع وجود صديقته الفرنسية وشبح تلك الممرضة التي داوت جراحه في المستشفى، تبقى صورة نود، حبيبته في البلد، مهيمنة على علاقاته النسائية. والقارئ يجهل كيف رجع حلمي الى أهله، وهو ما بدأ به القسم الثاني من الرواية، وهذه الجزئية السردية واحدة من العثرات البنيوية في الرواية، فالقفز على الزمن والمكان ينبغي ان يجد له مبررا فنيا، والا فهو لن يقنع القارئ.

الانتقالة المكانية بالذات كانت حادة، فمن مدينة مجهولة في بلد مجهول، يجاور العراق ربما، ينقل الروائي بطله حلمي فجأة الى مدينة معلومة هي بغداد، ليبدأ سيرة واقعية لا تخلو من الكوابيس والأحلام والتدخلات الشخصية للكاتب، عبر فصول قصيرة تتلاحق دون مبرر لوجودها اصلا في بعض الأحيان. يريد الكاتب ان يقول كل شيء يعرفه، حتى وان نبا عن سياق الأحداث، وتلك التدخلات تحد من ترابط الجو المرسوم بلغة سلسة وغنية الدلالات، ولكن توحي بضيق الخبرة في مبدأ السرد القصصي. تبادل المواقع بين الراوي وبطل الشخصية مربك، يوحي مرات بالصنعة والتكلف، والخيوط التي نسج بها النص لم تلتق بتواشج ذي خبرة، مما جلب فوضى غير مبررة الى مجمل الأحداث. صار على القارئ التمتع بمشاهد روائية معينة مثل حوارات فتيات الجيران، وفضول أبناء الحارة، والعودة الى الماضي الأسري، بينما تقفز الى الواجهة فصول لا تخرج عن نطاق التأملات اللغوية والتحليلات الذهنية التي لا يفرضها واقع النص.ادخل الكاتب ايضا قصائد ومقاطع قصصية لبطله او لاصدقائه في مهنة الكتابة، وكان الحفر من خلال شخصية حلمي في اتجاهات عدة: العلاقات الأسرية وأصول بعض الشخصيات الثانوية التي جاءت من الجنوب لتستقر في مدينة كبيرة مثل بغداد، مواجهة بذلك نمطا آخر من السلوكيات والأخلاق، منها العلاقة بين الرجل والمرأة على صعيد الحب المقموع، وقصص الحب الخبيئة بين جدران البيوت، وعند الشبابيك المفتوحة على التلصص والايماءات السريعة، والاشاعات. السياسة آخر ما فكرت به رواية البلد الجميل، وهي الخلفية المتينة لكل ما جرى في عراق التسعينيات وحدد مصائر الملايين بعد ذلك...كان مدار حلمي في بغداد يمر في أماكن كثيرة: حارات بغداد الشعبية كالثورة والحيدرخانة، وساحات العاصمة المشهورة، باب المعظم وساحة التحرير مرورا بشارع المتنبي ومقهاه الشهير الشابندر الذي اصبح ملتقى للأدباء والفنانين ومحبي الثقافة، ومقاهي شارع الرشيد المعروفة كالزهاوي وحسن عجمي وأم كلثوم، وكل ذلك يشير الى تمزق شخصية الرواية (حلمي) بين الثقافة ومجالسها وبين الواقع المكتظ بالجهل والفاقة والفوضى.

لايحكم سياق الأحداث محور متنام يسير خطيا في الزمان والمكان، بل يجمع الكاتب نتفا من ذكريات حلمي وعائلته الفقيرة وحياة أصدقائه وأوهائه بين الأحلام والواقع. فهو يشتغل في أكثر من مهنة،عامل محلج للقطن، وبائع خرداوات في سوق الحرامية، وناسخ كتب في شارع المتنبي وزجاج في مشغل، وفي معمل للشوكولاتا يتعرف على ندى ابنة الحارة، ويدخل في علاقة استيهامية لا تمضي كما ينبغي، نتيجة ثقل التقاليد، ثم ليتزوجها لاحقا، واهتزاز حلمي الروحي، وليد ظروف غير طبيعية وان لم تتوغل فيها الرواية. انه روح مهشمة حساسة في زمن فظ، فبعد حروب متواصلة وحصار شامل وتشظ لنسيج مجتمع قلق، لايمكن للشخصيات الاحتفاظ بتماسكها. ويشتغل كذلك فرانا ثم كاتبا للقصص والقصائد ومتسكعا وحالما بالسطو على بنك أو بيت ثري، حيث يبلغ التعارض اشده بين روح تتوق الى عالم حر وعادل وواقع مهشم، سادر في علاقات اجتماعية ريفية وان ارتدى لبوس المدينة.

وفي الجانب التراكمي للسرد يغلب التفصيل على الاجمال، اذ تضيع مسارات الأحداث داخل التفاصيل الثانوية، وفيها الجدة التي لاتفارق بيتها وتستعيد دائما ذكريات ماض بعيد، جرت في مدينة جنوبية، والأخوات والجيران والصبايا الباحثات عن أزواج، فضلا عن كم هائل من الشخصيات الثانوية التي يعيش كل منها في دائرة مغلقة، لا تخدم هدفا فنيا ما. يظل خيط الرواية يغزل حول بحث حلمي عن فتاته نود، مختلطة بوجوه فتيات أخريات وأسمائهن، مررن في حياته صدفة او عرفهن بسرعة كما جرى مع ابنة عمه نادية، او الممرضة التي عالجته أو زوجته ندى. وكان الرجوع الى ماضي العائلة القادمة من ظلمات الريف طريقا أليفا يمشيه كلما توقف الراوي عاجزا عن مواصلة الركض خلف حلمي. الانتماء الى الماضي بنفس عميق والى الحاضر القلق في الآن ذاته واحد من شتات حلمي وتمزقاته، وهوالنموذج الموحي لجيل ضائع لا يعرف مايريد. تارة يهتم بكتابة الشعر ويلتقي بمثقفين وتارة يشتغل خبازا، وفي أغلب أوقاته يتخيل عالما حكيما يقترب من تجليات التصوف الصيني، يعيش في أفق رأسه الغائم.

وثمة جو محجوب في رواية البلد الجميل، يصعب على روائي صياغته فنيا دون ان تصطبغ فيه الشخوص والأحداث. نتائج حروب متوالية، وما رافقها من بؤس وجوع وقمع سياسي وتشرد، لم تتمظهر في النص هذا، ويبدو ان الكاتب كان يعرف بوصلة الرقيب فتفادى الوقوع في الفخ، اذ لايمكن لعمل ينتمي الى واقع مسمى، وضمن زمن محدد، الهروب من استحقاقات ذلك الواقع، وهذا ما تشير اليه معظم الروايات العراقية الجادة، سواء ما كتب منها في الداخل، ككراسة كانون لمحمد خضير، او في الخارج مثل روايات فاضل العزاوي وجنان جاسم حلاوي ونجم والي. لايعقل أدبيا الكتابة عن مدينة الثورة، وهي ما سميت لاحقا بمدينة الصدر، المكان الروائي العام للرواية، دون الاشارة الى قصص القتل الشائعة وتجليات الحروب من اعاقات وتشوهات وهجرات، وأمراض اجتماعية انتشرت واضحة على جسد شوارعها وبيوتاتها؟ الثورة (بيوت واطئة ونخلات في باحات البيوت تنفرش مثل مروحة دائرية بسعفات ذات لون داكن، وطيور تدور في الأسفل دورات واطئة مخذولة قبل ان تحط منهكة على الستارات الحجرية، او بجوار ابراجها المصنوعة من الطين والصفيح، دجاج وحمير وعربات خضراوات، وبقع مائية عريضة تعكس لون السماء، نساء يغسلن الملابس في طسوت معدنية قرب الحنفيات وأخر واقفات امام الدكاكين، اطفال يركضون ويملأون الأزقة، وفتيات على الأسطح بأثواب زاهية، فتاتان تتكئان على حائط يفصل بين سطحين، واحداهما تحرك يديها اثناء الكلام وبين لحظة وأخرى تقرص صاحبتها ص٩٧). ايقاع طبيعي جدا لمدينة الثورة، قد لا يتناسب مع تاريخها الحديث المليء بالابادات والنفي والقمع السياسي والديني كون قاطنيها جلهم من الشيعة، وهي ايضا، المدينة التي تكونت في ضواحي بغداد في الخمسينيات، من مهاجرين وفدوا من المدن الجنوبية كالعمارة والناصرية والبصرة. ظلت تلك الخلفية المشبعة بالأساطير الشعبية منجما لذكريات وخيالات بطل رواية البلد الجميل. ازاحة ما يكمن تحت سطح المجتمع البغدادي وقمعه، وتفادي الاقتراب الحاد منه، كان فضيلة من فضائل هذه الرواية، المحكومة بخطوط رقيب سري صارم، لم يعد يناسب المرحلة الحالية من تاريخ بغداد، او العراق عموما.

فضاءات التيه

زيد الشهيد

صدرت عن دار ألواح في العاصمة الإسبانية مدريد مجموعة قصصية جديد للقاص والناقد العراقي المقيم في ليبيا زيد الشهيد، تحمل عنوان (فضاءات التيه) وبهذا تكون هي المجموعة القصصية الثالثة لزيد الشهيد بعد مجموعتيه: (مدينة الحجر) الصادرة عن اتحاد أدباء العراق عام ١٩٩٤. و(حكايات عن الغرف المعلّقة) الصادرة عن دار أزمنة في الأردن سنة ٢٠٠٣. إضافة إلى ديوانه (أمي والسراويل) ٢٠٠٤. وكتاب (الرؤى والأمكنة ـ نصوص مستلّة من ذاكرة المكان) إلى جانب ما عرف بمساهماته ومقالاته الكثيرة في النقد الأدبي.

وتضم مجموعة الشهيد الجديدة القصص الاتية: فضاءات التيه، سيدوري، تراجيدي، الجرثومة، بعد التحية، حالمون وعاقبة. تتسم القصص بالطول ويمر عبرها المؤلف على مواضيع شتى باعتبارها هموماً عميقة منها الغربة والوطن والحب والموت وغيرها. ويلاحظ على هذه المجموعة تجاوز زيد الشهيد لنفسه في أعماله السابقة حيث نشهد هنا هيمنة العنصر والاشتغال اللغوي على بقية عناصر النص كمحاولة جادة وتجريبية أخرى في إعلاء الشأن الفني والتجريبي في الأدب. وتسبق هذه القصص الشهادة السردية المعنونة بـ (أسفل فنارات الواقعية) التي قدم بها الشهيد مجموعته ورؤيته للقص والكتابة عبر لغة مغايرة بحيث تشكل الشهادة بحد ذاتها نصاً فنياً يضم في طياته بعض أراء الكاتب، والتي نقرأ منها هذا المقطع المنتقى على الغلاف الأخير للكتاب:

(ريشةُ الكتابةِ ترفضُ حديثَ الرماد تتعثر إنْ أُقتيدت متّشحةً بالمراءات لمحاورة لافتات لم تترع معها يوماً ما من مائدة الشمس... قد تحبس نَفَساً وتداري!! قد ترتدي حبَر الغرابة!! قد تمارس فقدَ الذاكرة وتنطق تحت تهديد العسف!! قد يراها الرائي تؤدي دوراً يظنّه متقناً لكنها يقيناً ـ ريشة لا ترقص طرباً كما تشتهي، ولا تستطيب نَفْساً إلاّ بين رفيف جذوتها المتقدة وأعطاف يومها المنسفح.

ريشةُ الكتابة تعتاشُ معي، حبُرها دمي وصحائفُها أعوامي... تجتاز باتزانٍ برازخَ الاقيانوس وعَماء التابوات.. تنهي ريَبَ الهزيعِ المُحتشد بالغَمامِ والفخاخ والعتمَ والمجهول.. تتجاوز أشداقَ المسوخِ وزبدها المُعلّقم... تختتمُ سِفرَ الإصغاء لأفواه السعالي الفاحّة شبقاً تحتَ صدور غيلان تضاجعُها أسفلَ فنارات الوقيعة... تغدو اللغةُ زحاماً حشدياً من كريّاتٍ بيضٍ تتدرّع بغية تقليل نضوبِ شقاء الكتابة المُمتع/الأليم لحماية حيوية النص ويفاعتهِ..).

سنية صالح والماغوط

د. سهام جبار

قرأت اكثر من مقال عن الماغوط ورثائه لزوجته، ولم اجد من يكتب عن هذه الزوجة شاعرة مبدعة وملهمة مؤثرة، لا لشيء الا لسطوة سياق من الاشهار المتواطأ عليه، فلم ينظر الا إلى الثمر وتركت جانباً الشجرة المعطاء بما فيها من علو وكمون شعري ثر.

تقدم سنية صالح لمجموعة الشاعر بأقصى الاحتضان، تضع اليد على سر الشعر النابض بالازمات ترى الذي لا يرى الا من عين شاعرة تعرف الطموح الملح لخلق الوجود الشعري وتنبه إلى ملمح ان (محمد الماغوط من ابرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل) واصفة طبيعة الموهبة ونجاحاتها من حضانة التراث وزجره التربوي بالحرية والاصالة.

هذا الوعي الدافق كان ملاكاً حارساً تلخص في نكران ذات عال نقرؤه في سلوك منتمٍ للشعر وللحب، برعاية أمومية تحيط الماغوط فيكتب مطمئناً ان لا قصور يمنعه من الاطراد. يكتب وهي تنقل الطعام اليه والزهور والصحف، يكتب وهي تركض في البرد القارس والشمس المحرقة لتشبع له الرغبة في القراءة، يكتب واكثر الكتب اهمية واغلاها ثمناً ممزقة او مبعثرة على ارضه، اذ يشعل نيرانه الخاصة وتحيط اصابعها بهذه النيران فلا تحترق لانها تذكي الشعر وتنفخ في اواره.

لم يقتصر دور سنية على الحدب والرعاية بالتفاصيل، فهو دور نسوي معتاد من نسوة كثر يحطن الشعراء، مجهولات وغير مجهولات، انما كان لها فضل اضاءة الجوهر الشعري للماغوط بالكشف والحنو، أنه امر يتعدى الرعاية الشعرية والالهام ايضاً ويتعدى الاسناد الاجتماعي والقلبي، انه مؤازرة داخلية تتأتى من ان سنية صالح كانت في حياة شاعر، فجسدت نصها فيه قبل ان تجسده في بنى لغوية محددة، فيها من سيلفيا بلاث ما فيها، وموتها من الدرامية ما يجعله عميقاً مع انه ظاهر، وموغلا في الشفافية والشعر من حيث انها افلحت بكتابة ديوانها الاخير (ذكر الورد) ناجية من الانتهاء عند حدود الآخر، ومن الانطفاء بالموت دون ان تدرك او تميز قوتها العنقائية المتجددة، التي لا تخطئها عين الإدراك في تجسيد حلمي، امومي، شعري، باذخ..

لذلك لم تنحصر- وهذه ميزة انها مبدعة- في ان تتخلف إلى الوراء، وراء الشاعر في ايثار جاهل وعاطفة امرأة، وانما انتجت ما دل على وعي عميق وتأمل نافذ في فضاءات الحياة والموت معاً.

فيما يستمر الاخوة المتواطئون في ما تداولوه ورددوا نتائجه بالاحتفاء برثاء الشاعر والتغاضي عن الجوهرة التي أضاء من شمسها قمره الشاحب، لا ينسى الانكليز في ذكرهم لتيدهيوز سيلفيا بلاث، فنعلق نحن بتكرار ممجوج: ان حضارتهم أمومية وحضارتنا ذكورية! أليس كذلك؟ الا.. بعداً!

اوراق الذاكرة

إلفة الغوريلا

جاسم عاصي

إشارة/ ارتأيت ان ادون لكم حكاياتي، فوضعت لها عناونين منها حزن الأسد- غواية القرد- ذهول العم الدب -انكسار النمر- وغيرها. وهي أشبه بسيرة ذاتية لأفراد اسرتي هذه سأبدأها بقصة - إلفة الغوريلا- فاقرأوها يرحكم الله.مسؤول حديقة الحيوان

كنت اراقبه منذ ان دخل علي فجأة للمرة الاولى بينما كنت منشغلاً بعملي. وقدم لي الورقة بكف مرتعشة، اربكني ولم ادرك لم كل هذه الخشية..؟ لكنني توصلت إلى معرفتها، فقد كان يروم العمل معنا في الجنينة، حيث بدأ حرجاً اكثر إزاء توضيح طبيعة عمله، وهو يلح على المعرفة تلك، ذكر لي انه تطلع إلى الحيوانات في اقفاصها ولاحظ الصبية والصبيات. وحتى الكبار، هم يداعبونها ويشاكسونها. كانت به رغبة ملحة للعمل معنا، والذي فك اللغز المحير بيننا، وازاح ستارة الحرج، هو دخول احد القردة من الباب المفتوح في نهاية القاعة، حيث قفصه المواجه للجنينة، وهو يحدق به، مقترباً منه، فوجئ أزاء مبادرته بالتحية، مما زاد من غموض الموقف، ناظراً إليه وهو ينتصب بالقرب من براد الماء ومروره من امامه واطلاقه عبارات زادت من حيرته فبدا كما لو انه استيقظ فجأة من كابوس محتبساً ومكبلاً بالاسئلة فيما كنت اراقبه يحرج ازاء ما يظهر عليه من وقار وكبر سن. كان شاربه كثاً غزاه الشيب ووجنتاه بارزتين اعتلاهما تقعران غار اسفلهما تعب واضح. اخذ يحدق بي وينفد منه الصبر لذا تجرأت وشرحت له الموقف لفك لغز نظراته الموصدة، مبيناً، ان كل من رآهم داخل القفص من حيوانات، هم ليسوا كائنات حقيقية بل جلود جافة تسكنها اجساد حية وان هذا ما تتطلبه لقمة العيش بالنسبة لنا، خصوصاً ان الحيوانات نفقت جميعها فوجدنا ان جلودها بعد السلخ تفي بالغرض وان حيوية الانسان تضفي عليها حياة جديدة تغزي المتطلعين نحو الاقفاص وترضي فضولهم وتوهمهم بحقيقتها لكنه كان يزيد من السؤال حيث بدا عليه انه ارتضى الحال وهو بشان معرفة دوره او طبيعة جلده الذي بالامكان الدخول فيه:

سأل: واين جلدي يا ترى؟

أشرت إلى مكان الغوريلا البائس، المركون في اقصى القاعة، حدّق به ملياً تقلص وجهه وانكمشت تجاعيده واصفر، لكني قلت:

-منذ اسبوع وهو رابض بسكون هكذا.

-ولِمَ ترك وحده؟

-لان صاحبه.. توفي.

-رحمه الله.

-كنت اقوم احياناً بدوره ولكن انت تعرف ادارة الجنينة ومشاغلها.

وقمت بدور العمل بان اختفيت خلفه، لاحظ الحركة تدب في الجلد. وحين اقتربت منه وغادرته قائلاً:

-انه لا يتطلب حركة سريعة، بل كل ما يحتاجه هو السكون والمداعبة. وما ان تعرف على هذا الحيوان واعتاد على طريقة الدخول في حوضه حتى سكنه واتقن حركاته واضاف عليها حيوية ظاهرة. كنت اتأمله من جهة الاقفاص بعد ان دلف من بابه الخاص. كانت له مهارة عجيبة في مداعبة الاطفال وهم يشاكسونه تارة ويتوددون اليه تارة اخرى ملتقطاً كل ما يرمونه نحوه ومدخلاً اياها في جوفه حيث اراه يقوم بتنظيف الجلد من الداخل ساعة الاستراحة وتكونت علاقات كبيرة وواسعة مع الاطفال ممن يرتادون الجنينة، لم اعرف سرها وسر نموها السريع، الا انني وبعد ان تعرفت على الرجل جيداً وزادت الفتنا، يومها، قلت لنفسي: ان الرجل نقل خبرته في التعامل مع الاطفال. وربما كان معلماً متفوقاً في وظيفته السابقة.

كنت مسروراً برفقته والعمل معه، حيث اضفى على الجنينة حياة جديدة، اذ توثقت اواصر العلاقة بين العاملين بسببه. كان يحب العمل كثيراً ولا يفارق جلده الا نادرا فاستأنسه الآخرون خاصة بقائه داخل الجنينة في بعض الليالي، حيث يجدونه قد نظف جلودهم واعتنى بها ووفر لي الوقت للخروج من المدينة في وقت مبكر وتفقد عائلتي، فهو من يقوم بالتنظيف وترتيب الجلود وتفقدها، لكني لاحظته في احد المساءات بينما كنت عائداً إلى الجنينة لآخذ حاجة لي. كانت حركته دؤوبة فأجاتني مما دعاني إلى التوقف خارجاً والتلصص عليه ، كان يدخل في جلده متجولاًمن مكان الى اخر وحين يستدعيه الامر لتنظيف احد الجلود يخرج منه وسرعان ما يدخله منتقلاً إلى جلد آخر. كانت حركاته سريعة وجذابة مما اضاف مرونة إلى الجلد الجاف والساكن دونه وبحيث اغراني وضيع معرفتي له. كونه جلد. بل ما اراه امامي غوريلا حقيقي، ولم ادخل القاعة وقتها، وكثيراً ما تلصصت عليه في الليالي. اذ وجدته على الحال نفسه وقتها قلت له مع نفسي: ان الرجل اصبح قطعة من جلده. كنت مطمئناً على كل شيء. وتمنيت ان لا يفارقنا هذا الرجل لأيما سبب. وهذا ما ذكرته لمدير المدينة حيث زاد من اجوره الاسبوعية واستأنس معه في الحديث. اذ كان يستدعيه إلى الادارة ويحاوره وهو ما ينفك ينطلق ويطرح معارفه كساقية الماء التي تجد متنفساً فينحدر ماؤها واعترف ان الرجل هبة من الله سبحانه وتعالى لي وللآخرين لكن لاحظت عليه انه لا ينفصل عن طبيعة جلده. فقد كان بائساً وحزيناً على الرغم من اخفائه لمثل هذه المشاعر. كان يبدو عليه التعب يعوضه بالحركة داخل القفص. عموماً كان متشبثاً بعمل كما بدا. اضفى على حياتي لونا جديداً وغيّر من مسيرة الاخرين فبدوا مبتهجين بجلودهم وكثيراً ما كنت اراهم يتحلقون حوله وهو يحدثهم في ساعات الاستراحة فيصغون اليه كالاطفال وهو يحدثهم في اوقات كثيرة. يمعنون النظر في وجهه الذي كسته التجاعيد وجحوظ العينين وذبولهما. هكذا كانت سيرة الرجل الغوريلا بيننا وهكذا تطبعت الفته مع الجلد ولازمه دائماً وانا اراقبه باستمرار. وكان تعلقه بجلده يثيرني ويحزنني لكني اعتدت ذلك ايضاً منه واعتدت مشهده وهو يضطجع على الارض في القفص واضعاً يديه تحت راسه مقرفصاً ساقيه بالقرب من بطنه غاطاً في نوم طويل.. سجيناً داخل الجلد. ولم ابين امامه ما شاهدت غير ان حزنه أثارني في الفترة الاخيرة مما غير من سلوكه وزاد من ارتباكه الدائم سألته عن ذلك فأجاب:

-ماذا أقول يا اخي..!

-قل لا تتهيب. ما الذي يحزنك؟!

-أنا حائر من أمري..!!

-من أي شيء ..؟

-زوجي تلح علي.

-على ماذا..؟

-ان اصطحب الاطفال إلى الجنينة للتفرج على الحيوانات..!

سكت امامه. كان وجهه يثير الحيرة والارتباك وفعلاً وجدته قد وقع في مطب كبير لكنني عاجلت بالقول:

-لا يهم ليأتوا بينما اخفى الجلد او ادخله انا.

نظر نحوي بصمت شديد وكاد يبكي وقتها. لكنه خلّص نفسه من الموقف مسرعاً إلى الجلد متوارياً داخله. بدا الجلد يهتز وندّ عنه انين خافت ولا أدري هل اثر فيه الحزن إلى هذه الدرجة..؟ ام اني اسأت التصرف هكذا؟ واستمر العمل من دون ان يشير إلى ذلك ابداً غير انه فاجأني عصر احد الايام. غادر قفصه مسرعاً. راح يتجول في القاعة مهتزاً وانا الاحقه وبالكاد اوقفته وارغمته على الخروج منه سألته:

-ما الامر يا رجل..؟

-وقعت في الفخ..!

-الفخ؟ أي فخ تعني؟

-عائلتي هناك بمواجهة الاقفاص. وامام قفصي بالذات..!!

-لا بأس.

-كيف. لقد تعلق الصغير بي. ورفض المغادرة يريد ان يراني..!

-سألبس الجلد بدلك واخرج انت اليهم.

حدق بي بامعان وانا اقف امامه غير انه انبرى قائلاً: وهل تجيد مثلي حركاته؟

لم أجبه بل خبأت قولي، بينما جسدي داخل الجلد.